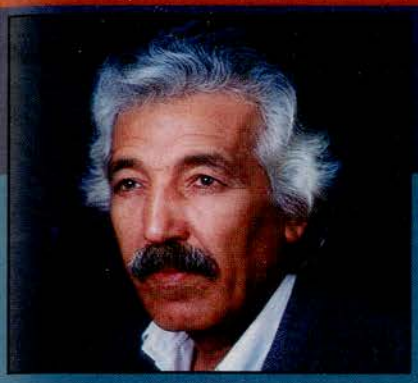

الشاعر الكبير محمد القيسي في الغيبوبة. هذه آخر قصائده قبل دخوله ذلك النفقَ الذي نأمل أن يخرج منه سريعا... إلينا وإلى فلسطين. ومع القصائد بعث محمد رسالةً: «تحيّة... لـ الآداب الجديدة، بيتِنا القديمِ والجديدِ دوماً.»

١ ـ موت الكمان

يَعُضُّني الفُقدانْ
يَعُضُّني
أنْ أخرجَ الصَباحَ منْ
فنجَانِ قَهوَتي
فَلا أرى الأشياءَ مثلَما
كانتْ هُنَا الأشياءُ،
لا الرَصيفُ ذلكَ الرصيفُ،
لا اليَدَانْ
هُما اليَدَانِ هَا هُنَا،
وَلا الكَمَانْ!

٢ ـ أقول لنفسي

أقولُ لنَفسي :
هَل الحبُّ أنْ لا تَنامَ،
وَأنْ لا تقومَ إلى حَاجةٍ،
غَيرِ هَذي الرَبابَةِ،
وَالأرجوانِ الجريحِ؟
أقولُ لنَفسي
وَأدركُ يَأسي
رَضيتُ بهِ،
وَأنا
آخرُ الميِّتينَ بِضَرْبَةِ شَمسِ.

٣ ـ احتطاب

وتَقطفينَ الوقتَ منّي
مثلمَا يَقطفُ الآخرونَ السَنابلْ
وَلا يَظلُّ لي سِوى السيقانِ،
وارتِعَاشةِ الأناملْ
وَحينَما الرُعَاةُ يُقبِلُونَ منْ
ضُحى الوِديانِ،
يَخلُصُونَ منْ بقيّةِ الأعوادِ
يا حَبيبتي
ويَحْطبُونَني
في أكبرِ المَحافلْ.

٤ ـ الممنوع

هَل تَكونُ لَنَا سَاعةٌ
وَسَطَ هَذا الخَرابِ،
لِنَروي هُنا أُصُصَ الزَهرِ،
عندَ الصَباحْ
نَتَمشّى قَليلاً عَلى البَحرِ،
أو في العَشيّاتِ
نَقطفُ أُغنيةً،
وَنُداري الجِراحْ!؟
هَكذا يَمنَعونَ عَلينَا
البَسيطَ المُتَاحْ!

٥ ـ منزل في الجوار

تَكتبينَ «زَمانُكَ هَذا زَماني
وَمَا كانَ قَبلكَ،
أسدَلتُ هَذا الستَارَ عَليهِ،
وَلا ثمَّ غَيرُكَ لي
في الأماني.»
وأعرفُ، عَازمةً أنتِ أنْ
لا أظلَّ بَعيداً،
وأنَّ يَديكِ تُعدّانِ لي
مَنزلاً في الجوارِ،
وأنّي سَأهجرُ حَتماً مَكاني.

٦ ـ الغياب

لا أرى في الممَرِّ هُنا
لا أرى الياسمينَةَ،
أو مقعَدينَا الخَشَبْ
وَالنهارَ
الذي يَتلاشى
إلى غَيرِهِ،
وَخُيوطَ الذهبْ
لا أرى ظلَّ فضَّتِهَا
حيثُ يَنمو
وَيَخضرُّ هَذا التَعب.